

نظرية التعبير

- ظروف نشأتها: كانت نظرية المحاكاة مهيمنة حتى القرن الثامن عشر الميلادي، وفي تلك الفترة شهد المجتمع الأوروبي تغيرات جذرية هزت بنيته الاجتماعية والسياسية والثقافية مثل الثورة البرجوازية على الإقطاع، والنهضة الصناعية والاقتصادية، والانتقال من الريف إلى المدن وما تولد من علاقات جديدة، وظهور فلسفات جديدة تهتم بالفرد.
- كذلك كان لشيوع أفكار الديمقراطية والإعلاء من شأن الفرد و بروز شعارات مثل العدل والحرية والمساواة أثر في صعود الطبقة الوسطى وسيطرة القيم الذاتية.
- أيضا كان للتعليم والطباعة والصحافة أثر في وعي الأفراد بحقوقهم والاهتمام بالبعد الشعوري والعاطفي فظهرت أفكار وموضوعات جديدة وثار الأدباء على قواعد الفن الكلاسيكي.
- أسسها الفكرية: يعتبر التمرکز حول الفرد أساسا للتغيرات السابقة جميعها فكان الفرد حجر الزاوية في كافة المجالات بمعنى أن الحياة الجديدة مبنية على المفاهيم الفردية (بدلا من الجاه والحسب والنسب في المجتمع الإقطاعي الذي يلغي قيمة الفرد)
- الفلسفة التي استندت إليها نظرية التعبير هي المثالية الذاتية، التي ترفض الآلية (النمطية) وتؤمن بالديناميكية (الاختلاف والتعدد)، حيث ترى أن الوجود الأول للذات أو الوعي الإنساني (الداخل) أما العالم الموضوعي فمن صنع تلك الذات، لأنها هي التي تكسب العالم الموضوعي (الخارجي) شرعيته ووجوده بناء على فهمها الخاص، فهي مختلفة من شخص لآخر، لأن لكل ذات صورتها الخاصة لذلك العالم.

- يعد العالم الداخلي المعول عليه في رسم صورة الخارجي ولذلك فلا بد من تقديم عالم الشعور والوجدان والعاطفة على العقل.
- باختصار فكرة نظرية التعبير تقوم على اعتبار الفن عامة تعبير عن الصورة الخاصة للعالم وهي صورة خلقتها الذات المبدعه معتمدة على الشعور والعواطف، وكمال التعبير الفني في قدرة الفن على تقديم تصور ذاتي خاص
- ويعد كانت (١٨٠٠) وهيجل (١٨٣١) المنظرين الفيلسفين للبرجوازية الفردية ومن ثم واضعي الأسس الفلسفية لنظرية التعبير، نظرا لارتباطهما بالطبقة الوسطى التي ازدهرت في ظلها أفكار نظرية التعبير.
- فقد ذهب كانت إلى أن الشعور طريق المعرفة الحقيقية، وذهب هيجل إلى أن الفن إدراك خاص للحقيقة بالخيال. فالعقل ليس طريق المعرفة الوحيد.
- أبرز ملامح نظرية التعبير: أن الأدب تعبير عن الذات أي عن العواطف والمشاعر والأحاسيس، وأن القلب هو ضوء الحقيقة وفهم الحياة من خلاله وليس من خلال العقل، وأن وظيفة الأدب إثارة الانفعالات والعواطف.
- ربطت نظرية التعبير الأدب بمصدر الأدب (المبدع)، وركزت اهتمامها على الرؤية الخاصة له وعلى العواطف والمشاعر والخيال.
- ركزت نظرية التعبير على الأديب أكثر من أي شيء آخر، ورأت أن الأديب يعيد تصوير الحياة من خلال رؤيته الخاصة، كما رأت أن الإنسان خير بطبعه واهتمت ببيان أثر الطبيعة الخارجية، وركز عليها أتباع هذه النظرية باعتبارها الملهم الأول.
- أبرز أقطاب نظرية التعبير: ووردزورث (١٨٥٠): حيث يعد من أشهر شعراء ومنظري نظرية التعبير من خلال المقدمة النقدية التي كتبها لديوانه المسمى (غنائيات)، وكانت أبرز أفكاره تتلخص في التركيز على شعر الطبيعة، والتلقائية في

الكتابة أو ما نسميه بالبساطة يقول مثلاً (إن كل شعر جيد هو فيض تلقائي لمشاعر قوية)، وهذا ضد فكرة الصنعة التي كانت محورا في نظرية المحاكاة.

- وهو يرى أن ما يكسب العمل قيمته طريقة المعالجة والبعد العاطفي فيه، كما رفض فكرة الألفاظ الشعرية وقال بقصر المسافة بين الشعر والنثر، وانعدام الأثر الخارجي أو لنقل التقليل من شأنه.

- كذلك كوليردج (١٨٣٤): الشاعر الناقد وصاحب نظرية الخيال. فقد رأى بأن العقل والإدراك يتحدان في الشعر والفن بواسطة الخيال الذي يدمج الخاص بالعام والمادي بالمثال والشكل بالمضمون ... الخ، فالخيال يفتت ويذيب ليعيد الخلق والتشكيل من جديد

- للخيال نوعان أو مستويان عند كوليردج، هناك الخيال الأولي هو القدرة على إدراك الأشياء وهو موجود عند كل الناس، أما الخيال الثانوي فهو ما يتميز به الشعراء والفنانون وهو القدرة على إعادة تصوير الأشياء من جديد وفق علاقات جديدة من صنع خيال الشاعر.

- أن حقيقة الأشياء لا تكمن في الإحساس بها أو بوجودها وإنما في العلاقة بينها وبين الذات وهي العلاقة التي يلعب الخيال دورا مهما في الكشف عنها.

- الخيال الشعري يذيب ويحطم لكي يخلق لنا صور جديدة تحل محل موجودات الطبيعة عن طريق الخيال، فأجزؤها المادية هي عناصر موجودة بالفعل في الواقع ولكنها في مجموعها متخيلة، والشاعر الحقيقي هو من يقدم رؤية جديدة لما نراه مألوفا عايا.

- مثال ذلك الصورة الخيالية التي تحملها عبارة: (أصابع الفجر تمتد)، حيث إن الأجزاء المادية المكونة لهذه الصورة موجودة في عالم الحقيقة مجزأة دون أن تمثل لنا كبير أهمية، أو يكون بينها علاقة، وهي (الأصابع - الفجر - الشروق). لكن الخيال الشعري الخلاق (الثانوي) استطاع أن يعيد ترتيب تلك الأشياء في علاقات جديدة حتى اجتمعت في تلك الصورة الخيالية المبدعة التي تصور شروق الشمس كأصابع تمتد.

- الشعر نتاج للخيال والعاطفة التي يثيرها الموقف المتخيل وليس فقط نتاج للمثير الخارجي كما عند أصحاب المحاكاة.
- ركزت نظرية التعبير على جانب العلاقة بين الأدب وسيرة الأديب المنتج والمعبر عن أعماق مشاعره، فرأت في الأدب صورة لشخصية المبدع ومكنونها.
- أيضا برزت مع نظرية التعبير قوة العلاقة بين الأدب وعلم النفس فظهرت كثير من الدراسات التي ربطت الأدب بالموهبة الفردية واللاشعور الفردي والجمعي.
- ركزت نظرية التعبير على الذاتية المتمثلة في الأديب وأغفلت الوسط الاجتماعي والسياسي الذي يتشكل في ظله الأدب.